الإنسان المركب وتحقق الشرط الإنساني عند إدغار موران

د. داود خليفة*

الملخص: سعى ادغار موران في مشروعه الفكري إلى محاربة التشتت والتبعثر والتجزئة والتبسيط والاختزال للظواهر كذا تشظي المعارف، داعيا إلى فكر مركب من شأنه أن يجمع ما جزأته المعارف الكلاسيكية. ضمن هذه الرؤية يقدم لنا موران تصورا جديدا للإنسان يتجاوز تلك الرؤية الاختزالية للإنسان التي تمنع من إدراك الوحدة والتداخل بين مختلف الأبعاد المكونة له والتي من شأنها أن تقف حائلا دون فهم التعقيد الإنساني، وأيضا تصوره في العلاقات بين الناس التي ينبغي أن تبنى على التفاهم الذي ينبغي أن يكون من المهام الأولى للتربية المستقبلية.

الكلمات المفتاحية: التعقيد، المركب، الاختزال، الفهم، التسامح، التمركز....

مقدمة: بالرغم أنه لا يمكن فصل الفلسفة عن تاريخها، إلا أن الخطاب الفلسفي ما يميزه أنه في الغالب خطاب استشرافي، والسؤال في الفلسفة يتجه إلى المستقبل بدلا عن تناول مسائل من الماضي. ينطبق هذا عن فلسفة **إدغار موران** في التربية، فهو يتجه بها إلى المستقبل يريد من خلال ذلك التنظير لما ينبغي أن تكون عليه تربية المستقبل. في هذا الإطار جاء كتابه الموسوم بـ **"التربية والمستقبل: المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل"** تأكيدا لهذه الفكرة، والذي حاول فيه التأسيس لتربية مستقبلية تسعى إلى إعادة تأسيس معنى للقيم لإنسانية وللإنسان في ذاته ضمن رؤية أكثر تكاملا تأخذ في الحسبان علاقة الإنسان بـ**"الأخر" كـــشرط إنساني**، وفق قيم التسامح والتفاهم وغيرها.

من هنا ارتأينا أن نخصص هذا البحث لفلسفة **ادغار موران** حول تربية المستقبل، وتحديدا حول الفهم الإنساني الذي يُنّظر له وفق رؤية معينة عن الإنسان.

1-إدغار موران: سيرته ومشروعه الفكري:

إدغار موران (واسمه الحقيقي **إدغار نعوم**) عالم الاجتماع والابستيمولوجي والفيلسوف الفرنسي المعاصر، ولد في باريس يوم 8 جويلية 1921، يعتبر من بين آخر المفكرين والفلاسفة الأحياء في القرن العشرين. هو اليوم واحداً من كبار المفكرين الفرنسيين، وربما أحد الأخيرين بين أبناء الجيل الذي صنع للفكر الفرنسي مكانته خلال العقود الأخيرة. حصل على شهادة الباكالوريا في التاريخ وشهادة في القانون سنة 1942.

وقبلها، كان قد انخرط في "حزب الجبهة" سنة 1938، وهو حزب يساري مناهضا للفاشية. وما بين 1942- 1944 انخرط في المقاومة للقتال ضد النازية، برتبة ملازم في القوات الفرنسية. شهدت هذه الفترة نشاط كبير لـ **إدغار نعوم** وكانت مناسبة للالتقاء بالرئيس الفرنسي السابق **فرانسوا ميتران** (1916-1996 ***F. Mitterrand***). ومنذ عام 1949 ابتعد **إدغار موران** عن الحزب الشيوعي الفرنسي، وسرعان ما تحول عن الشيوعية ليؤلف كتابه عام 1959 بعنوان **"نقد ذاتي"** ينتقد فيه النهج الستاليني للحزب الشيوعي الفرنسي، وكان هذا الكتاب تعبيرا عن قطيعته مع الشيوعية. ومعلوم أن الانضمام إلى الشيوعية كان تقليدا معهودا وشائعا لدى أغلب المثقفين والمفكرين الفرنسيين على غرار **روجيه غارودي** (1913 – 2012***R.Garaudy***)و**لوي ألتوسير** (1918-1990 ***L. Althusser***)وغيرهم. ومنذ عام 1960 انتمى **موران** إلى "حزب اتحاد اليسار الاشتراكي"، الذي صار يعرف بـ "الحزب الاشتراكي الموحد". ترأس المركز الوطني الفرنسي للأبحاث العلمية، تحصل على أكثر من عشرين دكتوراه فخرية من أكبر جامعات العالم، ترجمت مؤلفاته إلى ما يقارب ثلاثين لغة. لكن يبقى «تقديم **إدغار موران** ليس بالمهمة السهلة باعتباره مفكرا فريدا من نوعه. وأعماله تشهد على فكر حديث يتوضح بجرأة في واقع عصره»[(i)].

تأثر **إدغار موران** في مسيرته الفكرية بمجموعة من الفلاسفة خصص لهم كتابه الموسوم بـ**"فلاسفتي"** (***Mesphilosophes***)، نذكر منهم: **هيراقليطس** الذي وجد فيه إجابة عن كل تساؤلاته وتلبية لكل طموحاته، باعتباره فيلسوف التناقضات الكبرى التي لا يمكن تجاوزها. وأيضا **جان جاك روسو** (1712-1778***Jean Jacques Rousseau***)، الذي كان – من وجهة نظر **موران** - من

القلائل الذين فهموا بعض الأشياء الأساسية كالدين والأسطورة المثالية والجنون والمشاعر الوجدانية أو الانفعالات العاطفية، فكل هذه الأشياء كانت خارج عقل فلاسفة الأنوار التبسيطي وغير المعقد أو غير المركب، وأعجب به خاصة في إدانته الجانب اللاإنساني من الحضارة الحديثة. كما تأثر بـ **سبينوزا** (1632-1677 ***BaruchSpinoza***)و**فولتير** (1694-1778 / ***FrançoisMarieArouet*** ***Voltaire***)وغيرهم.

يمثل كتابه **"المنهج"** (***Méthode***) بأجزائه الستة عمله الرئيس الذي وضع فيه رؤيته الابستيمولوجية من خلال براديغم التعقيد، فقد كان الهدف الأساسي من كتاب **المنهج** هو مساءلة المعرفة في معناها وطبيعتها وحدودها وعلاقاتها مع الواقع ومع الحقيقة وفي علاقة المعارف ببعضها ومحاولة الربط بينها استنادا إلى رؤية عبرمناهجية مركبة.

يعدُّ إذن، **كتاب "المنهج"** الذي أصدره في سلسلة من ستة - 6 - أجزاء ما بين 1973- 1991، أهم مؤلفاته على الإطلاق، والذي يقول عنه: **«كلمة منهج لا تعني على الإطلاق المنهجية، المنهج هو عنوان إستراتيجية تهدف إلى المساعدة على التفكير الذاتي لمجابهة التعقيد... ويهدف المنهج الوصول إلى فكر غير إقصائي لأجل توصيل المعارف المشتتة»**[ii].

والحقيقة، أن **إدغار موران** ألّف نحو خمسين كتاباً في مختلف أنواع الفكر، ومعظم هذه الكتب جاءت تحت ظل فكرة **«المنهج»** التي كرّس لها كل جهده وفكره. وهي فكرة ارتبطت لديه أولا بعلم الاجتماع، لكنه يتجوّل بها في كل ما يكتب ويفكر، حيث إنه يعتبر نفسه مفكراً تحليلياً منهجياً وعقلانياً. ويمثل **المنهج** طريقة التعامل مع التعقيد، بغية التوصل تدريجيا إلى إدراك التحدي الذي تفرضه مقولة التعقيد[iii]. ولذلك فإن حصر **موران** في الانثربولوجيا أو علم الاجتماع إنما يعود إلى جهل التنوع في حقله الفكري، فإذا كان **إدغارموران** يمارس مهنته كعالم اجتماع، فذلك لا يعني اختزاله في ذلك فقط[iv].

والأجزاء الستة التي تشكّل كتاب المنهج الموسوعي، هي:

- طبيعة الطبيعة (*La nature de la nature (t.1), 1977*)

- حياة الحياة (*La vie de la vie (t.2), 1980*)

- معرفة المعرفة (*La connaissance de la connaissance (t.3), 1986*)

- الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها وتنظيمها (*Les idées: Leur habitat, leur vie, leurs moeurs, leur organisation(t.4), 1999*)

- إنسانية الإنسانية (*L'humanité de l'humanité (t.5): 1, 2001*)

- الهوية البشرية (*L'identitéhumaine, (t.5), 2,2001*)

وبخصوص كتابه المنهج ومشروعه الابستيمولوجي، يقول **إدغار موران**: **«إني أجد لزاما عليّ أن أكافح ضد التشتت، غير أني أصر على تعدد اهتماماتي وخبراتي... وإذا كان عليّ أن اعرف اهتماماتي فإني في الحقيقة أقوم على جمع المشتت والمبعثر، وأود لو أن هناك ثمرة للجمع بين الملموس وبين المجرد، وبين علم الاجتماع وعلوم الحياة مثلا. كما أود ألا يكون ذلك مجرد إثراء للمعرفة، بل لمبدأ المعرفة ذاته، أقصد المنهج، إن كتابي عن المنهج هو ثمرة هذا الاتجاه»**[٧].

2-إدغار موران: نحو تصور مركب للإنسان:

في نظر **موران** ، لا يقتصر تعريف الإنسان فقط بـ" **الإنسان العاقل**" (***Homosapiens***)، بل هو على العكس من ذلك إنه أيضا **الإنسان المخبول** (***Homodemens***)، من حيث هو الكائن القادر على ارتكاب الحماقات (***Stupidités***)، فيتعدى الجنون حالات الطب النفسي إلى الإحالة بالمبالغة في السلوك، ومن ثمّ يكون العقل والجنون هما قطبي النشاط الإنساني. من جهة ثانية، فليس الإنسان فقط الذي يصنع الأدوات أي **"الإنسان الصانع"** (***Homofaber***)، بل هو أيضا **"الإنسان الصانع للأساطير"** (***Homomythologicus***)، صانعا معها أديانا ومعتقدات خارقة عن الطبيعة. ومن جهة ثالثة، فالإنسان ليس هو فقط **"الإنسان الاقتصادي"**

(***Homoeconomicus***) حيث يعود تاريخ هذا المفهوم إلى القرن الثامن عشر، بل هو أيضا **"الإنسان اللاعب"** (***Homo ludens***)، ذلك الذي يلعب ويستنزف حياته وخبراته [vi]. وهذا يعني أن الإنسان ذو أبعاد مختلفة مركبة ومتداخلة، فهو لا يعمل فقط من أجل كسب قوت عيشه، لأن الطبيعة الإنسانية لا تتكون من نشاطات بسيطة مبتذلة، وإنما تملك كذلك جانباً شعرياً وتعبيرا صريحا عن الإحساس، والتوحد في الانتماء إلى الدين، وكذا جانباً متعلقاً بالحب حيث يزدهر الفرد بهذه الجوانب داخل الجماعة. من هنا ينبغي تعويض **المفهوم "الإنسان العاقل صانع الأدوات"** (***Homofaber sapiens***) المفرط في البساطة والاختزال بمفهوم **"الإنسان المعقد"** (***Homocomplexus***)[vii].يحلينا هذا المفهوم إلى نفي الطابع التبسيطي عن هوية الإنسان، إن الهوية الإنسانية هي هوية مركبة يبرزها الواقع الإنساني الذي يرتبط بالكثرة والتعدد والتنوع.

لقد سيطرت - في نظر **موران** - نزعة اختزالية تهمل علاقة الإنسان بالطبيعة، فكان إما يتم دمج الإنسان داخل الطبيعة داخل رؤية تجعل من الإنسان كائنا طبيعيا وتقول بفكرة "الطبيعة الإنسانية"، وإما يتم فصل الإنسان عن الطبيعة ضمن رؤية تقوم على تعيين ما يميز الإنسان عبر نفي الطبيعة. هاتان الرؤيتان تندمجان تحت منظومة واحدة هي منظومة الاختزال والفصل (***Système de simplification & de disjonction***): اختزال الإنساني في الطبيعي، أو الفصل بين الإنساني والطبيعي، وهما بذلك تمنعان من رؤية الوحدة والتداخل[viii].

إن فهم الإنسان يتطلب الوعي بالطابع المركب لهذا الإنسان، فالأسلوب المعرفي القائم على الفصل والاختزال قد وقف حائلا دون فهم التعقيد الإنساني، حيث تهتم مختلف العلوم بالظاهرة البشرية كلّ من زاوية خاصة ومحددة، فتـمّ تجزئة الإنسان إلى أجزاء، كل جزء معزولا عن الآخر في العلوم الإنسانية، بينما غاب الإنسان في علوم العالَم الفيزيائي مع أنه **"آلة حرارية"** أيضا، وغاب أيضا عن علوم عالَم الأحياء مع أنه **"حيوان"** كذلك[ix]. وبالتالي نحن بحاجة إلى فكر يجمع عناصر التعقيد البشري (البيولوجية والثقافية والاجتماعية والشخصية) وتنظيمها، ذلك لأن **«مصطلح "إنساني" غني، ومتناقض، ومزدوج: إنه في**

الواقع، جد معقد بالنسبة للأذهان المجبولة على إجلال الأفكار الواضحة والمميزة» [x]. وهذا يعني أن التعقيد البشري يفتح الطريق أمام كل من الفيزياء والبيولوجيا والأنثربولوجيا الاجتماعية ويهدف إلى بناء تصور شامل عن الطبيعة البشرية بإبراز التداخل بين العضوي الحيوي والفكري الثقافي. إن الإنسان بوصفه هوية عالمية موحدة لا ينبغي أن ينظر إليه كمجموع من الأجزاء سواء كانت ثقافية أو بيولوجية أو نفسية. ومن ثم كانت المعرفة التي ينادي بها موران حول الإنسان مركبة ومعقدة حيث يقول: **«إن المعرفة التي ننادي بها معقدة: لأنها تعترف أن الكائن الإنساني الذي يدرسها هو جزء من موضوعها. ولا تفصل بين الوحدة البشرية وتنوعها. وتعي جميع أبعاد واقع الإنسان المجزأة حاليا إلى فيزيائية وبيولوجية وسيكولوجية ودينية واقتصادية واجتماعية وتاريخية...»** [xi].

وفقا لـ**إدغار موران**، فإن النظر إلى الإنسان من زاوية التعقيد من شأنه أن يثير الوعي بالطبيعة المتعددة الأبعاد للإنسان؛ فطبيعة الإنسان هي على السواء فيزيائية وكيميائية وبيولوجية واجتماعية ونفسية... لذا فإنه من الضروري **«إعادة دمج الإنسان ضمن الكائنات الطبيعية، بهدف تمييزه عنها لا اختزاله فيها، الأمر الذي يتطلب تطوير نظرية ومنطق وابستيمولوجيا للتعقيد، تلاءم معرفة الإنسان»** [xii]، إن النظر للإنسان من أبعاده منفصلة لا يسمح لنا أن نفهم تعقيد الإنسان، ولا يسمع أيضا بفهم الغنى المتعدد الأبعاد. وبالتالي، فإنه يقترح أن يدرس الإنسان عبر أبعاده المتعددة من خلال منهج متعدد التخصصات، وربط العلوم البيولوجية والتشريحية والاجتماعية والإنسانيات بعضها ببعض. يتعلق الأمر هنا بإعادة ربط ما شتته المعارف الكلاسيكية وعلوم الإنسان.

من هنا، يدعو **موران** إلى"ضرورة التكامل المعرفي بين العلوم التي تتناول الإنسان موضوعا لها" أي " **فكر مركب** "، منفتح على مختلف الأبعاد؛ وقادرا على إغناء الإنسان بكل تناقضاته، فكر قائم على "الحوارية" تستوعب التناقضات في تصارعها وتكاملها. أي يريد إدغار موران تطبيق الفكر المركب والتعقيد كوسيلة وكأسلوب وكمنهج للتعامل مع الظواهر البشرية، ومن شأن هذا المنهج الذي

يستند إلى التعقيد أن يسمح بالمزيد من الدراسة المتعمقة حول علاقة الإنسان بنفسه وبالمجتمع.

3-التعقيد والفهم وتحقق الشرط الإنساني:

إزاء هذا التعقيد ينبغي على التربية أن تعترف بالتعقيد وبالمركب، وتأخذ بـ"تعددية الأبعاد" (***multidimensionnel***) التي تشكل الهوية البشرية، ينبغي تبعا لذلك إعادة تأسيس معنى للإنسان يتجاوز حدود الاختزال من خلال التأسيس لخطاب جديد حول علاقة الأنا بالآخر وفق منظور ثنائي متكامل هما: **الاختلاف والانفتاح**. يتعلق الأمر هنا بتجاوز تلك الرؤية التبسيطية التي تحصر حقيقة الإنسان في **"الأنا" كشرط أنطولوجي** ، إلى رؤية أكثر تكاملا تأخذ في الحسبان علاقة الإنسان بـ **"الأخر" كشرط إنساني**: من المعلوم أن **ديكارت** يؤكد – انطلاقا من الكوجيتو- على أن شرط تحقق الوجود الإنساني يتوقف على خاصية التفكير؛ فالنفس العاقلة أو الأنا المفكرة هو الحقيقة الوجودية اليقينية الوحيدة التي تعيش في عزلة وجودية عن الغير. من هنا فإن الأنا المتمثل في النفس العاقلة لا يحتاج لغيره في معرفة حقيقته وإثبات وجوده

وبذلك يرتبط الجسد والغير بمجال الغيرية وبكل ما هو عرضي. إن النفس العاقلة أو الأنا المفكرة هو الحقيقة الوجودية اليقينية الوحيدة التي تعيش في عزلة وجودية عن الغير. إن الوعي أو التفكير هو خاصية تشكل أنسنة الإنسان وتميزه عن غيره. وبالتالي فحقيقة الإنسان تتحقق في إنيته أي في وعي الذات بذاتها ومعرفة حقيقتها واثبات وجودها. ولا غرابة في ذاك مادمنا ندرك أن الفلسفة الديكارتية القائمة على ثنائية (***Dualisme***) هي الروح والجسد؛ ف**ديكارت** يسلم بوجود جوهرين مستقلين: الجسم جوهر مادي يتميز بالامتداد والقابلية للقسمة، والروح (النفس) جوهر غير مادي يتميز بالتفكير، وليس في مفهوم الجسم ما يخص النفس، وليس في مفهوم النفس ما يخص الجسم [(xiii)]، وتقوم ثنائية النفس والجسد على أساس تعالي النفس على الجسد. وهذا لا شك انه تصور اختزالي يختزل الإنسان في النفس العاقلة ويقصي ما عداها بما في ذلك الجسد، وإقصاء الجسد هو إقصاء للعالم وللآخرين.

يعارض **ادغار موران** هذه الرؤية في إطار معارضته للعلم الغربي بشكل عام الذي تأسس على الإقصاء الوضعاني للذات، فهو يرى أن شرط تحقق الوجود الإنساني يتحقق من خلال مختلف العلاقات التي ينسجها الإنسان مع غيره، تلك العلاقات التي تستلزم بالضرورة التواصل والانفتاح على الآخر والتعايش معه.

ولكن كيف يتحقق الشرط الإنساني في نظر **إدغار موران** ؟ يتحقق الشرط الإنساني من خلال تفكير متعدد التمركزات منفتح ويتغذى من مختلف ثقافات العالم، الأمر الذي يستوجب نوعا من التفاهم الذي تنوط به التربية كأحد مهامها الأساسية. ومما لاشك فيه أن التكنولوجيات الحديثة (هاتف، انترنت ..) ساهمت وبشكل فعّال في تحقيق التقارب والتواصل بين الناس، ورغم ذلك فإن اللاتفاهم هو العملة السائدة بينهم، وبهذا أصبح الفهم من المشكلات الأساسية في العلاقات الإنسانية، الأمر الذي يستدعي أن يكون الفهم أحد أهم غايات التربية، ولكن ينبغي أن نعلم أن «هناك فرق بين أن نربي من أجل تحصيل الفهم في مادة تعليمية كالرياضيات، وبين أن نربي من أجل الفهم الإنساني، الذي هو الرسالة المحضة للتربية المستقبلية، والذي هو الشرط لتحقيق التضامن العقلي والأخلاقي للإنسانية»[xiv].

ولاشك أن الفهم الإنساني يحيلنا على معرفة الذات للذات، حيث لا ندرك الغير موضوعيا فقط بل إننا ندركه كذات أخرى نتطابق معها أو نجعلها متطابقة معنا، إنه أنا آخر وقد أصبح غيرا ذو أنا مستقلة[xv]. يؤدي الأمر في النهاية إلى أن الفهم هو محاولة معرفة الغير والسعي نحو التطابق معه والقيام بإسقاطات عليه. وهو بهذا المعنى مسألة بين ذاتية، تقتضي الانفتاح والتعاطف[xvi]. في هذا الإطار ينبغي أن ندرك أن للفهم بُعد فردي والمتمثل في تلك العلاقة بين المقربين كأشخاص منتمين لثقافة واحدة، إن العلاقات بين المقربين أصبحت مهددة أكثر من غيرها باللاتفاهم، إذ كلما كان هناك تقارب كلما زادت مساحة اللاتفاهم، فالتقارب يغذي سوء الفهم والعدوانية والغيرة. وبُعد كوكبي يتمثل في التفاهم بين المتباعدين، أي التقارب بين الشعوب المنتمين لثقافات مختلفة[xvii].

نحن بحاجة إذن إلى أخلاق للفهم باعتبارها فنا للعيش، يتعلق الأمر هنا بخلق التسامح، فالتربية على الفهم هي تربية على التسامح، وعلى أن الحقيقة دائما نسبية، وبالتالي فهم الأخر حتى وإن كان الأخر غير قادر على فهمنا وأن نعرف لماذا هو غير قادر على فهمنا، وبالتالي فأخلاق الفهم تتطلب منا فهم عدم الفهم. إن الفهم هو وسيلة وغاية التواصل الإنساني، فلا تقدم في مجال العلاقات بين الإفراد والأمم والثقافات بدون فهم متبادل [xviii]. إن العلاقات بين البشر لن تحقق أي تقدما، مادامت قدرتنا على الفهم لا تتطور.

إذن يربط **إدغار موران** بين الفهم والتسامح باعتباره قيمة أخلاقية، ويمكن أن نفهم هذا من خلال تحليل المستويات الأربعة للتسامح عند **موران**: المستوى الأول هو احترام حق الغير في التعبير والكلام، وأساسه فهم تعبير الغير وكلامه ليس انطلاقا من تصوراتنا نحن ولكن حسب مقصد المتكلم. والمستوى الثاني من التسامح هو الذي تقوم عليه الديمقراطية التي تقتضي وجود أراء مختلفة ومتناقضة، حيث ينبغي احترام أراء الغير مهما كانت مناقضة لآرائنا. والثالث يتأسس على الفكرة القائلة أن نقيض الحقيقة ليس خطأً وإنما هو حقيقة أخرى وبالتالي فإن «نقيض فكرة ما عميقة هو فكرة أخرى عميقة، وبصيغة أخرى الاعتراف بثمة حقيقة في الفكرة المناقضة لفكرتنا، وهذه هي الحقيقة التي يتعين علينا احترامها» [xix]. أما المستوى الرابع للتسامح فيقوم على الوعي بالخضوع للأساطير والإيديولوجيات وللأفكار وللآلهة، والوعي بالانحرافات التي تحملنا إلى مدى بعيد عما كنا نود بلوغه، وعليه فالتسامح يتعلق بالأفكار وليس بالشتائم والاعتداءات والإجرام [xx]. يؤدي الأمر في نهاية المطاف إلى أنّ الفهم يتطلّب التسامح والمشاركة الوجدانيّة ومدّ جسور التواصل الإنساني مع الآخر، ويتطلّب إلى جانب ذلك مراعاة خصوصيّة الناس وفرادة الحضارات واختلاف السياقات الفكريّة والاجتماعيّة والنفسيّة للمجتمعات، ويتطلّب أيضاً الابتعاد قدر الإمكان عن الإقصاء والأحكام الجاهزة المتسرعة والقبليّة[xxi].

ولا شك أن العصر الذي نعيش فيه هو عصر كوكبي بامتياز، من هنا ينبغي أن نربط بين أخلاق الفهم والعصر الكوكبي، الأمر الذي يستدعي بالضرورة الدعوة إلى عالمية الفهم. من هنا يرى **موران** أن على الثقافات المختلفة أن تتعلم

من بعضها، وعلى الثقافة الغربية التي فرضت نفسها كثقافة مُعَلّمَة أن تصبح ثقافة مُتَعَلَّمَة أيضا[xxii].

تفترض كل عولمة للفهم مجتمعات ديمقراطية متفتحة، من حيث إن الديمقراطية تمثل السبيل الأوحد نحو الفهم المتبادل بين الثقافات والشعوب والأمم.

4-عوائق الفهم:

ولكن هل تحقيق الفهم ممكنا؟ يرى **إدغار موران** أن الفهم ممكن التحقق، بشرط أنه ينبغي علينا أن نواجه العوائق التي تعيق تحقيق هذا الفهم. يلخص **ادغار موران** تلك العوائق في التمركز حول الذات (***l'égocentrisme***) والتمركز حول العرق (***l'ethnocentrisme***) والتمركز حول المجتمع (***lesociocentrisme***)، والقاسم المشترك بين هذه النزعات الثلاث «يكمن في كونها تموقع ذاتها في مركز العالم وتعتبر كل ما هو غريب أو بعيد هو شيء ثانوي لا معنى له أو شيء معادٍ لها» [xxiii]. هناك عائق أخر أساسي هو الفكر الاختزالي (***Penséereductionisme***)؛ الذي يختزل شخصية متعددة في طبيعتها في أحد جوانبها أو خاصياتها، فإذا كانت هذه الخاصية ايجابية فإنه سيتم تجاهل كل الخصائص السلبية لهذه الشخصية، وإذا كانت هذه الخاصية سلبية فإنه سيتم تجاهل كل الخصائص الايجابية لها، وفي حالتين نحن أمام عدم الفهم، يتطلب منا الفهم أن لا نختزل إنسانا في نزعة إجرامية - مثلا - بسبب جريمة ارتكبها[xxiv].. من هنا فإن الفكر الاختزالي لا يحقق الفهم، لأن الفهم لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق الوعي بالطابع المركب للإنسان، الذي يقتضي بدوره عدم اختزال كائن ما في الجزء الأصغر من ذاته، ولا في أسوء لحظة من ماضيه.

5-المعرفة وتحقيق الفهم:

إن الفهم هو معرفة، معرفة الآخر انطلاقا من مبدأ التسامح والتشارك الوجدانيّ وتوطيد علاقات التواصل الإنساني، من هنا كان على هذه المعرفة أن تراعي مايلي:

أ- المركب: تضعنا المعرفة أمام تحديات ماهو مركب، ومن ثمّ فهي منوطة بها إبراز تلك العلاقة بين الوحدة والتعدد، وحيث ما تمّ وصل مختلف العناصر المكونة للكل من اقتصادية وسياسية واجتماعية ونفسية ووجدانية كان هناك مركبا. من هنا، كان من للازم على المعرفة مواجهة ماهو مركب[xxv].

ب- السياق والشمول:

السياق (*contexte*): يحدد السياق شروط دمج المعارف وحدود صلاحيتها، وبواسطته تتحقق فعالية السيرورة المعرفية، وكل معرفة تخلو من السياق أي معرفة قائمة على الفصل والعزل هي بالضرورة ناقصة. وعليه ينبغي على المعرفة أن تتموضع داخل السياق ليتحدد معناها. إن الكلمة مثلا تحتاج إلى النص ليكون لها معنى، فالنص هو سياق الكلمة، والنص بدوره بحاجة إلى سياق ليمكن إنتاجه [xxvi]. وفي هذا الإطار ينبغي النظر للعلاقة بين أي ظاهرة وسياقها والعلاقات المتبادلة بين الكل وأجزائه، وفي هذا اعتراف بالوحدة في التنوع وبالتنوع في الوحدة. انطلاقا من هذا الأسلوب المعقد يمكن تقويض صحة المعرفة الاختزالية. أما الشمولي (***Le global***) فهو أكثر من السياق من حيث هو المجموع الذي يربط أجزاء مختلفة إما بعلاقة ارتدادية أو تنظيمية[xxvii].

جـ- تعددية الأبعاد (*Lemultidimensionnel*): كل ماهو مركب هو بالضرورة متعدد في أبعاده، وعلى المعرفة أن تعترف بهذا التعدد في الأبعاد وتراعيه. فالكائن البشري ليس هو فقط جانب بيولوجي، أو نفسي، أو اجتماعي، أو عقلاني، بل هو كل ذلك معا. ولا يقتصر بُعدُ المجتمع على التاريخ، أو الاقتصاد، أو الدين، وإنما هو كل تلك الأبعاد مجتمعة. من هنا يستحيل ليس فقط فصل الجزء عن الكل وإنما فصل الأجزاء عن بعضها. فالبعد الاقتصادي مثلا يحمل في طياته كل الأبعاد الأخرى؛ حاجات ورغبات إنسانية تتجاوز حدود ما هو اقتصادي المحض[xxviii].

خاتمة:

نصل في خاتمة هذا البحث، أن **إدغار موران** يبلور خطاب فلسفي جديد حول الإنسان، خطاب مركب غير تبسيطي وغير اختزالي يأخذ بـ"تعددية

الأبعاد"، ويؤسس وفقه رؤية جديدة أيضا عن كيفية تحقق الشرط الإنساني عن طريق الانفتاح على الغير لا إقصائه، يتحقق ذلك عن طريق التفاهم الذي ينبغي أن تنميه التربية المستقبلية ويكون أحد مهامها الأساسية.

*داود خليفة، أستاذ محاضر (ب)،جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف

مراجع البحث:

أولا: بالعربية

1. موران ، إدغار وجان بودريارد، عنف العالم، ترجمة: عزيز توما، دار الحوار للنشر والتوزيع،ط 1، اللاذقية، 2005.
2. موران،إدغار، تربية المستقبل، ترجمة: عزيز لزرق – منير الحجوجي، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 2002.
3. موران، إدغار، النهج: إنسانية البشرية - الهوية البشرية،ترجمة: هناء صبحي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ط1، أبو ظبي، 2009.
4. موران، إدغار، نحن نحمل فينا كلَّ قصة الكون، ترجمة: بيسان بن ميمون، مجلة علوم ومستقبل، عدد 2012،169.
5. عبد الوهاب جعفر، مقالات الفكر الفلسفي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، د ط، الإسكندرية، 1988.
6. خديجة زتيلي، إدغار موران وتعليم فنّ الحياة في الزمن الراهن، مجلة هوامش ثقافات معاصرة، نسخة إلكترونية.
7. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، د ط، القاهرة، د ت، ص 78.

ثانيا: بالفرنسية:

1. Morin, Edgar**, Introduction à la pensée complexe**, Éditions du Seuil, Paris, 2005.
2. Morin, Edgar**, La méthode: L'humanité de l'humanité**, Éditions du Seuil, Paris, 2001.
3. Morin, Edgar**, La méthode: La Connaissance de la connaissance**, Éditions du Seuil, Paris, 1986.

4. Morin, Edgar, **Les sept savoirs nécéssaires à l'éducation du futur**, Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture (UNESCO), 1999.
5. Benkirane, Réda, **La complexité: vertiges et promesses**, Le Pommier, Paris.

هوامش البحث:

(i)- إدغار موران وجان بودريارد، **عنف العالم**، ترجمة: عزيز توما، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط 1، اللاذقية، 2005، ص 67.

(ii)– بتصرف Edgar Morin, La méthode**: La Connaissance de la connaissance**, éditions du Seuil, Paris, 1986, p p 27-28.

iii–(Réda Benkirane, **La complexité: vertiges et promesses**, Le Pommier, Paris, p 21.

(iv)–أنظر إلى: إدغار موران وجان بودريارد، **عنف العالم**، مصدر سابق، ص 68.

(v)- نقلا عن: عبد الوهاب جعفر، **مقالات الفكر الفلسفي المعاصر**، دار المعرفة الجامعية، د ط، الإسكندرية، 1988، ص 225.

(vi)- إدغار موران، **نحن نحمل فينا كلّ قصة الكون** ترجمة: بيسان بن ميمون، مجلة علوم ومستقبل، عدد 169، 2012، ص 62 .

(**vii**)- المصدر نفسه والمكان.

(viii)- إدغار موران، **تربية المستقبل**، ترجمة: عزيز لزرق – منير الحجوجي، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 2002، ص 26 – 27.

(ix)- إدغار موران، **النهج: إنسانية البشرية - الهوية البشرية** ترجمة: هناء صبحي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ط1، أبو ظبي، 2009، ص 22.

(x)- إدغار موران، المصدر نفسه، ص 23.

xi-(Edgar Morin , **La méthode:** L'humanité de l'humanité, éditions du Seuil, Paris, 2001, p 12-13

xii-(Edgar Morin, **Introduction à la pensée complexe**, éditions du Seuil, Paris, 2005p 25.

(xiii)–يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، دار المعارف، د ط، القاهرة، د ت، ص 78.

xiv-(Edgar Morin, **Les sept savoirs nécéssaires à l'éducation du futu**r, Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture (UNESCO), 1999, p 51.

(xv)- إدغار موران، **تربية المستقبل**، مصدر سابق، ص 88.

(xvi)- انظر إلى المصدر نفسه والصفحة نفسها.

xvii-(Edgar Morin**, Les sept savoirs nécéssaires à l'éducation du futur**, ibid p 51.

(xviii)- إدغار موران، **تربية المستقبل**، المصدر نفسه، ص 93.

(xix)- المصدر نفسه، ص 95.

(xx)- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(xxi)- خديجة زتيلي، **إدغار موران وتعليم فنّ الحياة في الزمن الراهن** مجلة هوامش ثقافات معاصرة، نسخة إلكترونية.

(xxii)- أنظر إلى: إدغار موران، **تربية المستقبل**، مصدر سابق، ص 97.

(xxiii)- المصدر نفسه، ص 90.

(xxiv)- المصدر نفسه، ص 91 – 92.

(xxv)- المصدر نفسه، ص 37 – 38.

(xxvi)- المصدر نفسه، ص 35.

(xxvii)- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(xxviii)- المصدر نفسه، ص 37.